

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

سلسلة الفكر



حكايات من التاريخ

جانب عشرين للكلام

علي الطنطاوي

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

دار الفكر - دمشق - ساحة الحجاز
ص. ب (٩٦٢) - برقياً (فكر) هالف (٣١٠٤١)



ويكبر الطفل ، ولكن
الحنين إلى الحكايات والقصص
يكبر معه ، فهو يتتبع الأخبار ،
ويقراً القصص ، وينظر في صحف
التاريخ ، كل ذلك لأن حب
الحكايات وذكرى الجدة (المنقل) ،
لا تزال حية في نفسه ، مهما بلغ من
العمر .

ولا أدري لِمَ لم ينتفع
المعلمون والمربون بهذا الميل المستقر
في كل نفس ، فيجعلوا دروسهم
ومواعظهم حكايات وقصصاً . ولم
يدعون الميدان كله لهؤلاء
المفسدين ، الذين يستغلون وحدهم
هذا الميل ، فينشرون في الناس
القصص المفسدة للخلق من قصص
(أرسين لوبين) وأشباهها ،
أو المفسدة للعقل كقصص السحرة
والعفاريت .

هذه (حكايات من
التاريخ) ومن منا لا يحب
الحكايات ، ومن لا يذكر أياماً من
حياته ، كان يسعى فيها إلى جدته
المعجوز ، يلتصق بها أمام (المنقل)
في ليالي (كانون) يسألها
(حكاية ...) ، فتتعلل هي ،
ويتوسل هو ، حتى إذا استجابت
وبدأت بالفاتحة التي لا بد منها
لكل حكاية ، (كان يا ما كان ،
كان من قديم الزمان ...) تجتمع
وتحفز ، وصارت كل جارحة من
جسده أذنأ تصغي وقلبا يعي ،
يفالبه النعاس وهو صابر ، يترقب
نهاية علاء الدين ، وفطمة
الدينارية ، والأخوات الثلاث ،
والشاطر حسن ...

لذلك استجبت مسروراً لما
كلفتنى (دار الفكر) بأن أتولى
كتابة هذه السلسلة من الحكايات .

إنها حكايات ولكنها
تاريخية واقعة . وليس معنى هذا
أننى أفتح كتاب التاريخ وأنقل
ما فيه . ولكن معناه أنى أخذ الخبر
التاريخي . أو الواقعة المروية .
فأخرجها إخراجاً فنياً . وربما زدت
فيها قليلاً أو كثيراً . وربما كان
أصلها سطوراً معدودة فجعلتها
صفحات . ولكنى لا أخرج في
جوهر القصة عن الأصل على كل
حال .

وإذا كانت الجدة تجد
الهرج والضيقة . كلما سألتها الصبي
حكاية جديدة . فذلك لأن
حكاياتها قليلة لا تعرف غيرها . أما
أنا فلن أهرج ولن أضيع لأن لدي
فيضاً لا ينقطع من هذه
الحكايات .

وسأعرضها بأسهل لفظ .
وأقرب عبارة . حتى يفهمها تلميذ
انصف الرابع ابتدائي . ومن الله
أبتغي العون . وأرجو الثواب .

عبدالمطعم

الكرامات

كَانَ فِي مَدِينَةِ (الرِّقَّة) أَيَّامَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ (أَيْ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ وَمِئَتِي سَنَةٍ) رَجُلٌ مِنْ
 بَنِي أَسَدٍ ، اسْمُهُ خُزَيْمَةُ بْنُ بَشَرَ ، وَكَانَ غَنِيًّا ، ذَا
 نِعْمَةٍ حَسَنَةٍ ، وَمَالٍ كَثِيرٍ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ ذَا مَرْوَةٍ وَكَرَمٍ ،
 وَفَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ، وَبِرٍّ بِالْإِخْوَانِ ، لَا يَرُدُّ سَائِلًا
 وَلَا يَحْرِمُ طَالِبًا ، وَلَا يَقْعُدُ عَنْ مَكْرَمَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى
 ذَلِكَ ، حَتَّى اسْتَنْفَدَ الْمَعْرُوفُ مَالَهُ كُلَّهُ ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ
 شَيْءٌ ، فَاسْتَعَانَ بِإِخْوَانِهِ ، فَأَعَانُوهُ حِينًا ، ثُمَّ مَلَّوهُ فَعَرَّاهُ
 الْقُنُوطُ ، وَتَمَلَّكَه الْيَأْسُ .

- فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ « الْحَقِي بِأَهْلِكَ ، فَإِنِّي سَأُغْلِقُ

عَلَيَّ بَابِي ، وَأَبْقَى فِي بَيْتِي ، حَتَّى يَأْتِيَ الْفَرْجُ . أَوْ
أَمُوتُ » .

- قَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَصَاحِبِكَ فِي اللَّيْلِ ، وَأَفَارَقَكَ فِي
الشَّدَّةِ ، وَأَنَا بَاقِيَةٌ مَعَكَ ، إِنْ عِشْتُ عِشْتُ ، وَإِنْ مِتُّ
مِتُّ .

وَأَغْلَقَا الْبَابَ ، وَرَاحَا يَتَقَوَّتَانِ بِمَا عِنْدَهُمَا حَتَّى
نَفَدَ ، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمَا شَيْءٌ وَقَعْدَا يَنْتَظِرَانِ الْمَوْتَ .

وَكَانَ عِكْرَمَةُ الْفَيَاضِ الرَّبِيعِيِّ أَمِيرًا عَلَى الْجَزِيرَةِ ،
وَكَانَ قَدْ لُقِّبَ بِالْفَيَاضِ لِكَرَمِهِ وَفَيْضِهِ ، فَقَالَ يَوْمًا
لِجُلَسَائِهِ :

- مَا فَعَلَ خُزَيْمَةُ بْنُ بَشَرٍ الْأَسَدِيُّ ؟ -

- قَالُوا : مَا يَرَاهُ مِنَّا أَحَدٌ ، وَلَعَلَّهُ عَلَى سَفَرٍ .

- قَالَ وَاحِدٌ مِمَّنْ حَضَرَ : بَلْ هُوَ فِي الْبَلَدِ ، وَلَكِنَّهُ

قَدْ انْتَهَى ، وَقَدْ دَفَنَ نَفْسَهُ فِي دَارِهِ ، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ ،

وَحَلَفَ لَا يَخْرُجُ حَتَّى يَمُوتَ .

- قَالَ : وَلَمْ . وَتَحَكَّ ؟ فَخَيْرُهُ خَيْرُهُ .

- قَالَ : أَوْلَمْ يَجِدْ مُسْعِداً أَوْ مُوَسِياً ؟ هَلْ قَلَّ
الْأَغْنِيَاءُ ؟ .

- قَالَ : لَا أُيْهَا الْأَمِيرُ ، وَلَكِنْ قَلَّ الْكَرَمَاءُ . إِنَّ
النَّاسَ يَتَسَابِقُونَ إِلَى بَرِّكَ إِذَا ضِيقَتْ يَوْماً ، وَكَانُوا
يَعْلَمُونَ أَنَّ لَكَ مَالاً آتِياً ، وَأَنَّهُمْ إِذَا سَعَفُوكَ رَدَدَتْ عَلَيْهِمْ
مَالَهُمْ ، وَحَفِظْتَ لَهُمْ مَعْرُوفَهُمْ . فَإِنْ رَأَوْا أَنَّكَ قَدْ أَحْجَتْ
حَقِيقَةً ، وَلَمْ يَبْقَ لَكَ مَالٌ يُنْتَظَرُ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْكَ مِنْهُمْ
أَحَدٌ ؛ وَالصَّدَاقَةُ عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ تِجَارَةٌ ، فَهُمْ يُوَادُّونَكَ
أَملاً بِمَالِكَ أَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ يَوْماً ، أَوْ بِجَاهِكَ أَنْ
يَسْتَعِينُوا بِهِ . أَمَّا الْحُبُّ فِي اللَّهِ ، فَذَلِكَ مَالاً تَكَادُ
تَجِدُهُ فِي النَّاسِ .

- قَالَ الْأَمِيرُ : صَدَقْتَ .

وَأَمْسَكَ عَنْ ذِكْرِهِ ، وَخَاضَ فِي غَيْرِ حَدِيثِهِ ،
وَعَجِبَ الْحَاضِرُونَ ، وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ يَأْمُرُ لَهُ
بِعَظِيَّةٍ ، أَوْ يَبْعَثُ إِلَيْهِ بَوْفِدٍ .



وَكَانَ قَدْ مَرَّ عَلَى خُزَيْمَةَ وَامْرَأَتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ
 يَذُوقَا فِيهَا شَيْئًا ، وَكَانَ مَنظَرُ زَوْجَتِهِ وَهْيَ جَائِعَةٌ
 مُوَجَّعَةٌ ، أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ جُوعِهِ وَوَجَعِهِ ، وَكَانَ يَدْفَعُهُ حُبُّهُ
 إِلَيْهَا ، وَشَفَقَتُهُ عَلَيْهَا إِلَى الْخُرُوجِ ، وَاللُّجُوءِ إِلَى وَاحِدٍ
 مِمَّنْ كَانَ طَوَّقَ بِجَمِيلِهِ أَعْنَاقَهُمْ أَوْ يَطَالِبُ مَنْ لَهُ دِينَ
 عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُؤَدُّوا لَهُ شَيْئًا مِنْ دِيُونِهِ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ تَمْنَعُهُ
 عِزَّةُ نَفْسِهِ وَكَرَامَتُهَا عَلَيْهِ ، أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ بِالسَّوَالِ ؛ إِلَى
 مَنْ كَانَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَيْهِمْ بِالْمَالِ ، وَأَنْ يَطْلُبَ مِمَّنْ كَانُوا
 هُمْ يَطْلُبُونَ مِنْهُ ، وَيُؤَثِّرُ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ كَرِيمٌ عَنْ أَنْ
 يَعِيشَ عَيْشَةَ الْمَذَلَّةِ وَالْهَوَانِ .

فَمَا مَضَى هَزِيعٌ مِنَ اللَّيْلِ ؛ حَتَّى أَحَسَّ قَرْعَ
البَابِ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : انْظُرِي مَنْ بِالْبَابِ ؟
قَالَتْ : فَارِسٌ مُلْتَمِّمٌ مَا يَبِينُ مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ .



فَنَزَلَ فَفَتَحَ لَهُ . فَلَمَّا رَأَاهُ الْفَارِسُ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ دَابَّتِهِ
وَلَمْ يُكَلِّمَهُ . وَإِنَّمَا دَفَعَ إِلَيْهِ كَيْسًا ثَقِيلًا يَبْدُو أَنَّهُ مُمْتَلِئٌ
بِالْمَالِ فَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ وَقَالَ :

- مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَا هَذَا ؟ -

- قَالَ : هَذَا شَيْءٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ . لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهُ
فِيهِ لِأَحَدٍ . وَمَا خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ
وَحَمَلْتُهُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي إِلَّا لِأَنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَعْرِفَنِي .

- قَالَ : لَا وَاللَّهِ . لَا أَخْذُهُ حَتَّى تَقُولَ لِي مَنْ
أَنْتَ .

- قَالَ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ .

- قَالَ : زِدْنِي إِيضَاحًا .

قال : لا

ونتر اللجام من يده ، ولكز الفرس
حتى لفه الليل .



الفرج بعد السراج

وَدَخَلَ خُزَيْمَةُ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : قَدْ جَاءَكَ الْفَرْجُ ،
فَأَوْقِدِي السَّرَاجَ ، وَتَعَالِي فَاَنْظُرِي :

- قَالَتْ : إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الدَّارِ نَقْطَةُ زَيْتٍ
أَوْقَدُ بِهَا سِرَاجًا .

فَرَاخًا يَتَحَسَّسَانِ مَا فِي الْكَيْسِ ، فَيَجِدَانِ الْمَالَ ،
وَرَا حَتُّ تَقُولُ لَهُ :

- إِنَّهَا لَوْ كَانَتْ فُلُوسًا لَكَانَتْ كَثِيرَةً .

وَطَارَ النَّوْمُ مِنْ عُيُونِهِمَا ، فَبَقِيََا سَاهِرَيْنِ حَتَّى طَلَعَ
النَّهَارُ ، فَنَظَرَا فَبَهَرَ الذَّهَبُ عُيُونَهُمَا ، وَإِذَا هِيَ أَرْبَعَةُ

آلاف دينار. وبقيا حائرَينِ يتساءلانِ : مَنْ يَكُونُ هذا
الرَّجُلُ ؟

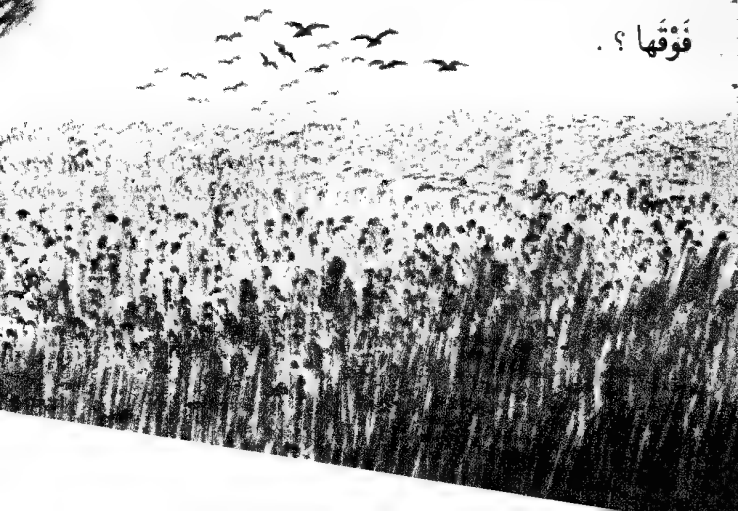


وكان الرجل هو عكرمة الفياض أمير الجزيرة ،
لما سمع خبر خزيمة أخذ أربعة آلاف دينار ، فوضعها
في كيس ، وخرج وحده ، لئلا يحس به أحد ، فدفعها
إليه ، وعاد فرحاً ، يحس كأنه أعطي أربعين ألفاً ، بل
هو لو أعطي الأربعين ، لما فرح بها فرحه بهذه
الأربعة التي أعطاه .

وفي الدنيا لذات كثيرة ، ولكن من أمتعها متعة ،
وأعمقها في النفس أثراً ، لذة الإحسان ، ولو لم يكن
للمحسن إلا هذه اللذة مكافأة لكفته ، عوضاً من المال
الذي بذل ، فكيف وله عند الله أضعاف أضعافها .

(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ
حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ
يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) .

فَمَا لِلْمُسْلِمِ يَبْتَغِي تِجَارَةً تَرْبِحُ فِيهَا مِئَتُهُ خُمْساً أَوْ
عَشْراً وَيَتْرُكُ هَذِهِ التِّجَارَةَ الَّتِي تَصِيرُ فِيهَا الْمِئَةُ سَبْعِينَ
أَلْفاً ؟ وَرُبَّمَا ضَوْعِفَتْ فَكَانَتْ مِئَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفاً فَمَا
فَوْقَهَا ؟ .



وَدَخَلَ بَيْتَهُ مُتَلِصِّصًا يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ لَمْ يَرَهُ
أَحَدٌ ، لَمْ يَذَرُ أَنَّهَا قَدْ رَأَتْهُ زَوْجَتُهُ ، وَكَانَتْ ابْنَةً عَمِّهِ ،
وَكَانَتْ عَاقِلَةً وَفِيَّةً ، وَلَكِنَّ بِهَا دَاءٌ أَكْثَرَ النَّسَاءِ : الْغَيْرَةِ
الْحَمَقَاءِ ، وَالشُّكُوكَ وَالْوَسَاوَسَ . فَمَا كَادَ يَدْخُلُ مِنْ
الْبَابِ ، حَتَّى وَثَبَتْ لَهُ مِنَ الظَّلَامِ ، كَأَنَّمَا هِيَ الشُّرْطِيُّ
الْمُتَرَقِّبُ يَضْبِطُ اللَّصَّ .

- وَقَالَتْ : أَيْنَ كُنْتَ ؟ -

- قَالَ : كُنْتُ فِي حَاجَةٍ لِي .

- قَالَتْ : أَمِيرُ الْبَلَدِ يَخْرُجُ وَحْدَهُ فِي هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ

وهو مُتَنَكِّرٌ؟ لا والله ما خَرَجْتُ لِحَاجَةٍ ، وَلَكِنْ لَكَ
زَوْجَةٌ غَيْرِي ، فَأَنْتَ تَخْرُجُ إِلَيْهَا . وَبَكَتْ وَشَقَّتْ
ثَوْبَهَا ، وَشَدَّتْ شَعْرَهَا ، وَأَعْوَلَتْ وَصَاحَتْ : غَدَرْتَ
يَا عَكْرَمَةَ بَائِنَةَ عَمِّكَ وَتَزَوَّجْتَ عَلَيْهَا .



- قَالَ : مَا لَكَ يَا امْرَأَةٌ ؟ هَلْ جُنِنْتَ ؟ إِنَّكَ
لَتَعْلَمِينَ بَأَنِّي لَسْتُ بِصَاحِبِ نِسَاءٍ ، وَلَيْسَ لِي زَوْجَةٌ
غَيْرُكَ ، وَمَا خَرَجْتُ إِلَّا لِأَمْرٍ لَا أَحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ بِهِ أَحَدٌ
إِلَّا اللَّهُ .

- قَالَتْ : وَاللَّهِ لَا أَرْضَى حَتَّى تُخْبِرَنِي مَا هُوَ .

- قَالَ : لَا أَخْبِرُكَ .

- فَعَادَتْ تُؤَلِّلُ ، وَقَالَتْ : إِذْنُ أَذْهَبَ وَاللَّهِ إِلَى
بَيْتِ أَبِي .

- قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُمَّا إِذَا أُصْرَرْتَ
فَإِنِّي مُخْبِرُكَ ، وَلَكِنِّي مُسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ أَنْ
تَكْتُمِيهِ عَلَيَّ وَلَا تُخْبِرِي بِهِ أَحَدًا أَبَدًا .

- قَالَتْ : أَحْلِفْ لَكَ .

- قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ نَمْشِي فِي الصَّحْرَاءِ فِي حَرِّ
الْهَوَاجِرِ ، وَالشَّمْسِ مُتَوَقِّدَةً تَلْدَغُ الرُّؤُوسَ ، كَيْفَ نَتَمَنَّى
ظِلًّا ، وَلَوْ كَانَ ظِلُّ قَنَازَةٍ ، وَكَيْفَ كُنَّا نَشْتَرِيهِ لَوْ بِيَع
بِغَالِي الثَّمَنِ .



لقد ذكرتُ يا بنةَ العَمِّ مَوْقِفًا ، لَوْ قِيسَ بِهِ مَوْقِفُنَا
فِي الصَّخْرَاءِ ، لَكَانَتْ شَمْسُ الصَّخْرَاءِ مِنْ بَرْدِهَا نَوْرَ
القَمَرِ ، ذَكَرْتُ مَوْقِفَ الحَشْرِ ، وَقَدْ دَنَتْ الشَّمْسُ حَتَّى
صَارَتْ فَوْقَ الرُّؤُوسِ ، وَطَالَ اليَوْمُ حَتَّى بَلَغَ مِقْدَارُهُ
أَلْفَ سَنَةٍ ، وَغَرِقَ النَّاسُ فِي العَرَقِ ، هُنَالِكَ يَا بنةَ العَمِّ ،
يُنَادِي المُنَادِي عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ ، وَعَلَى مَسْمَعٍ مِنْ
البَشَرِ جَمِيعًا ، مَنْ كَانَ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ وَمَنْ كَانَ فِي
آخِرِهِ ، قَدْ جَمَعَهُمُ اللّهُ كُلَّهُمْ ، يُنَادِي أَصْنَافًا سَبْعَةً مِنْ
النَّاسِ ، فَيَدْعُوهُمْ إِلَى أعْظَمِ تَكْرَمَةٍ ، وَأَكْبَرِ نَعِيمٍ ، إِلَى أَنْ
يَسْتَظِلُّوا بِظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ،
مِنْهُمْ مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ
مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ ، فَأُحْبِبْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ فَخَرَجْتُ
بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ . . وَقَصَّ عَلَيْهَا القِصَّةَ .

وَسَأَلَهَا : أَصَدَقْتَ أَمْ تُحْبِئِينَ أَنْ أُخْلِفَ لَكَ ؟
- قَالَتْ : بَلْ صَدَقْتُ ، وَاطْمَأَنَّ قَلْبِي .

وَتَجَهَّزَ خُزَيْمَةُ بِهَذَا الْمَالِ وَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عُثَيْدِ الْمَلِكِ . وَكَانَ فِي الرَّمْلَةِ ،
وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ .



وَهَذِهِ هِيَ الدِّيمُوقْرَاطِيَّةُ الَّتِي يُطَبِّلُونَ لَهَا الْيَوْمَ
وَيُزَمُّرُونَ ، هِيَ فِيهِمْ دَعْوَى وَتَكْلُفٌ ، وَهِيَ فِينَا سَلِيقَةٌ
وَطَبْعٌ .

لِذَلِكَ رَحَّبَ بِهِ سُلَيْمَانُ تَرْحِيبَ الصَّدِيقِ ، لَمْ
يَمْنَعُهُ أَنَّهُ كَانَ الْحَاكِمَ الْمُطْلَقَ فِيمَا بَيْنَ حُدُودِ فَرَنْسَا
وَحُدُودِ الصِّينِ مِنْ أَنْ يُجَالِسَهُ وَيَحْدِثُهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ
أَخْبَارِهِ ، وَأَنْطَلَقَ يَقْصُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ حَدِيثَ
جَابِرِ عَشْرَاتِ الْكِرَامِ ، سَأَلَهُ الْخَلِيفَةُ عَنْهُ .

- فَقَالَ : مَا عَرَفْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَلَهَّفَ
سُلَيْمَانُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ .

- وَقَالَ لَهُ : انْظُرْ مَنْ يَكُونُ لِنُكَافِيَتِهِ عَلَى نُبُلِهِ
وَكِرْمِهِ .

وَلَمَّا انْتَهَتْ الزِّيَارَةُ ، سَلَّمَهُ الْخَلِيفَةُ مَرْسُومَ الْوَلَايَةِ
عَلَى الْجَزِيرَةِ وَعَقَدَ لَهُ اللِّوَاءَ عَلَيْهَا .

ذَهَبَ مُفْلِسًا وَعَادَ أَمِيرًا ، وَبَلَغَ النَّاسَ الْخَبْرُ ، فَلَمَّا
اقْتَرَبَ مِنَ الرَّقَةِ خَرَجُوا يَسْتَقْبِلُونَهُ وَخَرَجَ مَعَهُمْ
عِكْرَمَةُ .

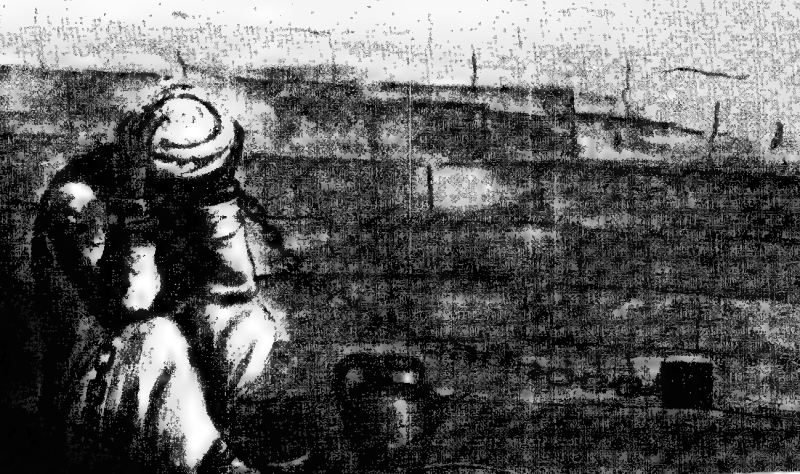
وَالنَّاسُ مَعَ الدَّهْرِ إِنْ أُقْبِلَ عَلَى امْرِئٍ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ
وَإِنْ أَدْبَرَ عَنْهُ أَدْبَرُوا عَنْهُ ، لَمْ يَسْتَحْيُوا أَنْ يَخْرُجُوا

لِاسْتِقْبَالِ الرَّجُلِ الَّذِي تَرَكَوهُ بِالْأَمْسِ يُغْلِقُ بَابَهُ
لِيَمُوتَ جَوْعاً ، وَمَا بَالُوا بِهِ وَلَا فَكَّرُوا فِيهِ ، مَعَ أَنَّ
أَيَادِيَهُ عِنْدَهُمْ وَمِنْهُ مُطَوَّقَةٌ أَعْنَاقَهُمْ ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ
إِعْرَاضاً عَنْهُ فِي مِخْنَتِهِ ، أَشَدَّهُمْ تَزَلُّفاً لَهُ فِي نِعْمَتِهِ ، وَهَذَا
دَابُّ الْعَامَّةِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَكُلِّ مِصْرٍ ، أَنَّ أَسْرَعَهُمْ هَتَافاً
لِلْمَلِكِ عِنْدَ تَتَوِيحِهِ ، أَسْرَعُهُمْ لَعْناً لَهُ عِنْدَ خَلْعِهِ .

عِزَّةُ الْفِيءِ الْمَغْنَمِ

وَكَانَتْ الْعَادَةُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ أَنْ يَكُونَ الْأَمِيرُ
مُطْلَقَ الْيَدِ فِي سُلْطَانِهِ ، فَإِذَا عَزَلَ كُلُّهُ خَلْفَهُ مُحَاسِبَتُهُ
وَاسْتِخْلَاصَ الْأَمْوَالِ مِنْهُ .

وَقَدْ دَعَا حُزِيمَةَ الْأَمِيرِ السَّابِقِ عِكْرَمَةَ الْفَيَاضِ
لِلْحِسَابِ ، فَفَضَّلَتْ عَلَيْهِ فَضُولَ أَمْوَالٍ فَطَالَبَهُ بِهَا ، فَلَمْ
يَسْتَطِعْ دَفْعَهَا فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ وَضِيقَ عَلَيْهِ وَأَثْقَلَهُ
بِالْقَيْودِ .



وَصَبَرَ عَلَى ضِيقِ السَّجْنِ وَثَقَلِ الْحَدِيدِ ، وَلَكِنَّ
 ابْنَةَ عَمِّهِ لَمْ تَصْبِرْ ، وَإِذَا سُجِنَ الْكَرِيمُ لَمْ يَكُنْ هُوَ
 الْمُعَاقَبَ بِالسَّجْنِ وَلَكِنَّ الْمُعَاقَبَ الْمُعَذَّبَ زَوْجَتُهُ
 وَأَوْلَادُهُ ، هُوَ يَتَوَارَى وَرَاءَ الْبَابِ ، فَلَا يَرَى وَلَا يُرَى ،
 وَهِيَ تَحْمِلُ شِمَاتَةَ الشَّامِتِينَ ، وَتَحْمِلُ مِنْ مُوَاسَاةِ بَعْضِ
 الْمَوَاسِينَ مَا هُوَ أَثْقَلُ عَلَى النَّفْسِ مِنْ شِمَاتَةِ الشَّامِتِينَ .

وكان أشدَّ ما يَمُرُّ عَلَى زَوْجَةِ عِكْرَمَةَ قَوْلُ النَّاسِ
 لَهَا إِنَّ الْأَمِيرَ الْجَدِيدَ رَجُلٌ كَرِيمٌ ، أَفَمَا لَكَ إِلَيْهِ وَسِيلَةٌ ؟
 أَلَا تَعْرِفِينَ صَدِيقًا لَهُ يَكَلِّمُهُ لِيُخَفِّفَ عَنْ عِكْرَمَةَ ؟
 وَكَانَتْ تَعْرِفُ الْوَسِيلَةَ الَّتِي تَبْذُرُ الْوَسَائِلَ ، إِنَّ لَهَا

كَلِمَةً وَاحِدَةً تَسْتَطِيعُ إِذَا قَالَتْهَا أَنْ تَفُكَّ عَنْ زَوْجِهَا قُبُودَهُ
وَتُعِيدَ إِلَيْهِ حُرِّيَّتَهُ وَمَجْدَهُ . هِيَ أَنْ تَقُولَ لِهَذَا الْأَمِيرِ
الْجَدِيدِ مَنْ هُوَ جَابِرُ عَشْرَاتِ الْكِرَامِ . وَلَكِنَّ زَوْجَهَا



يَأْبَى عَلَيْهَا أَنْ تَقُولَهَا أَشَدَّ الْإِبَاءِ ، وَيُؤْثِرُ الْمَوْتَ فِي
السَّجْنِ عَنْ أَنْ يُظْهِرَ حَسَنَةً عَاهَدَ اللَّهُ عَلَى كِتْمَانِهَا ،
لِتَكُونَ خَالِصَةً لَهُ وَحْدَهُ . وَهِيَ قَدْ حَلَفَتْ الْيَمِينَ وَلَا
تُحِبُّ أَنْ تَخْنَثَ بِهَا وَلَوْ عَلَى قَطْعِ رَقَبَتِهَا .

وَمَرَّ شَهْرٌ كَامِلٌ وَهِيَ فِي أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَلَمْ يَكُنِ
السَّجْنُ كَسُجُونِ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، بَلْ حُفْرَةٌ كَالْقَبْرِ ، فِيهَا
رَطُوبَةُ الْقَبْرِ ، وَظِلَامُهُ ، وَفِيهَا الْقَيْدُ الثَّقَالُ .

وَذَابَتْ الْمِسْكِينَةُ كَمَا تَذُوبُ الشَّمْعَةُ ، وَرَقَّ لَحْمُهَا
وَبَدَأَ عَظْمُهَا ، وَثَقُلَ هَذَا السِّرُّ عَلَى قَلْبِهَا حَتَّى كَانَتْ
قِطْعَةً مِنَ الرِّصَاصِ وَكَأَنَّ قَلْبَهَا كَيْسٌ مِنَ الْحَرِيرِ ،
يَتَمَزَّقُ مِنْ ثِقَلِهَا ، كَذَلِكَ شَعَرَتْ بِهِ يُمَزَّقُ قَلْبُهَا ،
وَكَانَتْ بَيْنَ حُبِّهَا لِزَوْجِهَا وَالْمِهَا لَهُ ، وَبَيْنَ حِرْصِهَا عَلَى
رِضَاهُ وَبِرِّهَا بِيَمِينِهَا كَأَنَّمَا هِيَ بَيْنَ حَجَرِي طَاحُونِ .

جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ

ثُمَّ اهْتَدَتْ لِرُوحِ الْحِيلَةِ ، فَدَعَتْ مَوْلَاةً لَهَا عَاقِلَةً
قَوِيَّةً جَمِيلَةً ، فَبَعَثَتْ بِهَا إِلَى الْأَمِيرِ الْجَدِيدِ وَلَقَّنَتْهَا
مَا تَقُولُهُ .

فَدَخَلَتْ الْجَارِيَةُ الْقَصْرَ ، وَطَلَبَتْ لِقَاءَ الْأَمِيرِ .
- وَقَالَتْ : إِنَّ لِي نَصِيحَةً لَا أَقُولُهَا إِلَّا لَهُ ،
فَادْخُلُوهَا عَلَيْهِ .

- فَقَالَ : مَنْ أَنْتِ وَمَا شَأْنُكِ ؟
- قَالَتْ : لَسْتُ أَقُولُ إِلَّا عَلَى انْفِرَادٍ .

فَانْفَرَدَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : هَلْ تُحِبُّ أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى
جَابِرِ عَشْرَاتِ الْكَرَامِ ؟ .

- فَوَثَبَ وَقَالَ : وَيْحَكَ وَهَلْ تَعْرِفِينَهُ ؟ .

- قَالَتْ : إِنْ دَلَلْتُكَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْكَ ،
فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ بِهِ ؟

- قَالَ : أَتَسْأَلِينِنِي مَا أَنَا صَانِعٌ بِهِ ؟ خَبِّرْنِي
وَسَتَرَيْنِ : خَبِّرْنِي وَبِئْسَ عَجَلِي فَمَا بَقِيَ مِنْ صَبْرِي
بَقِيَّةً ، فَمَنْ هُوَ ؟

- قَالَتْ هُوَ عِكْرَمَةُ الْفَيَاضِ . فَشَدَّهَ وَصَاحَ بِهَا
وَبِئْسَ أَوَاتِقَةٌ أَنْتِ أَنْهُ عِكْرَمَةُ ؟

- قَالَتْ : إِي وَاللَّهِ

- فَقَالَ : مَنْ أَيْنَ عَرَفْتَ ؟ .

فَقَصَّتْ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَجَعَلَ يَلْطَمُ وَجْهَهُ بِكَفِّهِ
وَيَشُدُّ شَعْرَهُ وَيَقُولُ :

- وَاخْجَلَتَاهُ ، وَاخْجَلَتَاهُ مِنْهُ وَمِنْ ابْنَةِ عَمِّهِ

وَقَفَزَ إِلَى فَرَسِهِ . وَقَالَ

لَأَهْلٍ مَجْلِسُهُ وَهُمْ وَجُوهُ

أَهْلِ الْبَلَدِ : الْحَقُّوا

بِي إِلَى السَّجْنِ



مُكَافَاةُ الْمَعْرُوفِ

وَدَخَلَ عَلَى عِكْرَمَةَ فَأَكَبَّ عَلَى رَأْسِهِ يُقَبِّلُهُ ،
وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، وَعَرَفَ عِكْرَمَةُ أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ أَفْشَتْ سِرَّهُ ،
فَاسْتَحْيَا وَنَكَسَ . وَأَمَرَ بِالْقِيُودِ ففُكَّتْ عَنْهُ ، وَمَدَّ رِجْلَهُ
وَقَالَ لِلْحَدَّادِ : ضَعْهَا هُنَا .

- قَالَ عِكْرَمَةُ : وَمَاذَا تَصْنَعُ قَالَ : أَصْنَعُ بِنَفْسِي
مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ بِكَ ، لِأَكْفِرَ عَنْ ذَنْبِي إِلَيْكَ .
- قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا تَفْعَلُ .

وَخَرَجَ بِهِ يُقَدِّمُهُ وَيُكْرِّمُهُ ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ عِكْرَمَةُ
دَارَهُ وَارَادَ أَنْ يُودِّعَهُ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، بَلْ إِلَى دَارِ

الإمارة ، وأمر بالحمّام فأخلى ، ودخل معه فخدمه
بنفسه ثم ألبسه ثيابه ، ومضى به إلى أمير المؤمنين .



العودة إلى الخليفة

وَلَمَّا سَمِعَ سُلَيْمَانُ أَنَّ خُزَيْمَةَ قَدْ عَادَ .

- قَالَ : أَمِيرُ الْجَزِيرَةِ يَعُودُ عَاجِلًا ، وَمِنْ غَيْرِ

اسْتِئْذَانٍ وَلَا إِخْبَارٍ ، مَا عَادَ إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ وَدَعَا بِهِ ،
فَقَالَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ :

- مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ .

قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَفِرْتُ بِجَاوِزِ عَشْرَاتِ

الْكَرَامِ فَجِئْتُكَ بِهِ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ تَلَهُّفِكَ وَشَوْقِكَ إِلَى
رُؤْيَيْهِ .

- قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟

- قَالَ : عِكْرَمَةُ الْفَيَّاضُ .

فَدَعَا بِهِ الْخَلِيفَةُ وَأَذْنَى مَجْلِسَهُ .



- وَقَالَ : يَا عِكرمةُ لَقَدْ كَانَ مَعْرُوفُكَ وَبَالًا عَلَيْكَ
خُذْ هَذِهِ الرُّقْعَةَ فَاكْتُبْ عَلَيْهَا طَلِبَاتِكَ كُلَّهَا .

- قَالَ : أَوْ تُعْفِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَمَالِي مِنْ
طَلَبٍ إِلَّا رِضَا اللَّهِ ثُمَّ رِضَاكَ .

- قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ .

فَكَتَبَ حَاجَتَهُ فَأَمَرَ بِقَضَائِهَا ، ثُمَّ جَمَعَ لَهُ الْجَزِيرَةَ
وَأَرْمَنِيَّةَ وَأَذْرَبِجَانَ ، وَوَلَّاهُ عَلَيْهَا كُلَّهَا .

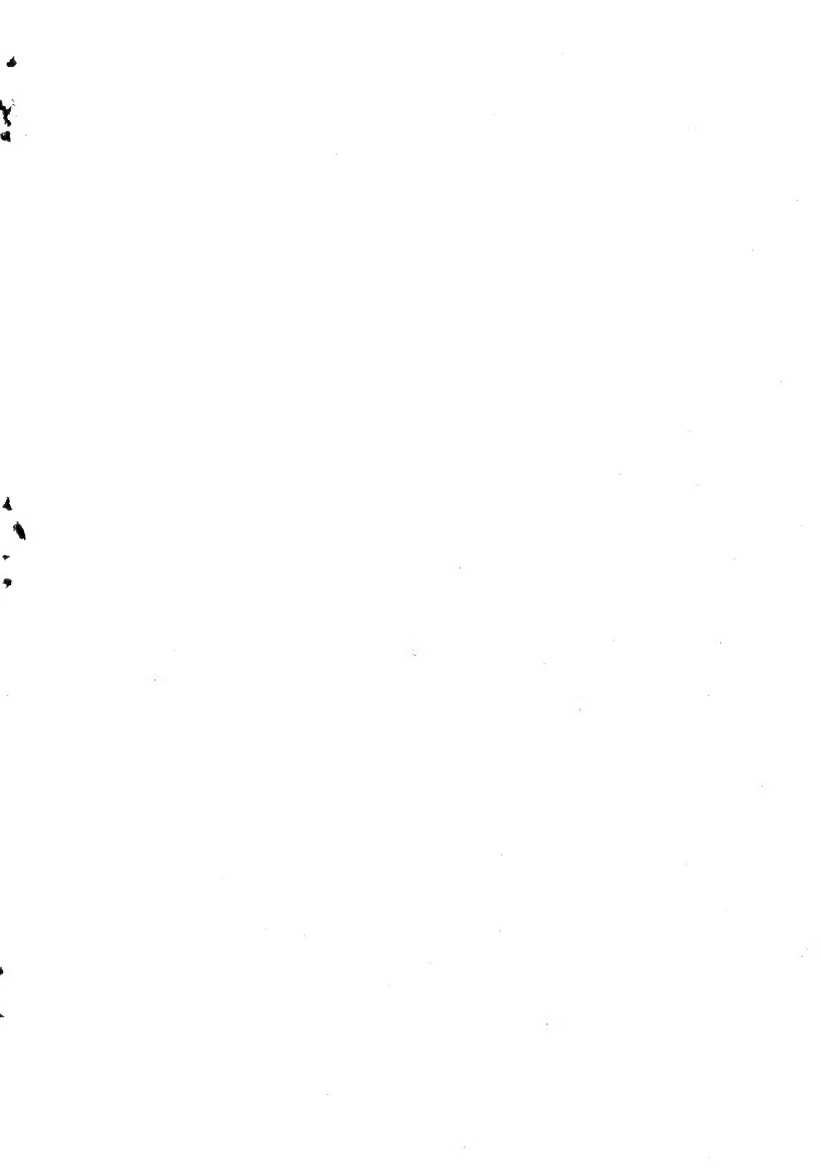
- وَقَالَ لَهُ : أَمْرُ خُزَيْمَةَ لَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ عَزَلْتَهُ وَإِنْ
شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ تَابِعًا لَكَ .

- قَالَ : بَلْ يَبْقَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَبَقِيََا وَالْيَمِينَ حَتَّى مَاتَ سُلَيْمَانُ .



دانش - ساحة الميكان - ص. ب. ٩١٢



سلاسل الفكر

إن من أهم ما تهدف إليه « كتب الأطفال » ، بصورة عامة ، تحبيب القراءة للأطفال ، وتنمية حب الاطلاع لديهم ، واستثارة مواهبهم الكامنة ،

ويستعين العاملون في مجال « كتب الأطفال » ، عادة ، على تحقيق هذه الأهداف ، بتقديم المعلومات المتنوعة للمطفل ، بأسلوب مشوق ، ولغة سهلة ، وطريقة جذابة ، وإخراج متقن ، واهتمام بالرسوم والصور ، على قدر يتفاوت حسب عمر الطفل الذي تقدم له هذه الكتب .

وسلاسل الفكر ، بالإضافة إلى هذه الأهداف العامة ، فإنها تتوخى ،

بناء شخصية الطفل بشكل منسجم مع بيئته ومحيطه ، وتراث أمته الفكري ، ودورها الحضاري ، وذاتيتها المتميزة ...

٢ - تعريف الطفل

بالجهود العلمية الكبيرة ، التي قدمها علماءنا الأجلاء ، في مختلف حقول المعرفة ، والتي حرص مؤرخو الحضارة الغربية على تجاهلها وطمسها وإهمالها .

٣ - توجيه الطفل إلى

النظر في آيات الله المنثورة في

الكون المسخر له ، وفي نفسه
التي بين جنبيه ، حتى يتبين
له الحق ، ويستنير قلبه
بالإيمان عن علم ويقين .

إن هذه الأهداف التي
أخذت دار الفكر على عاتقها
تحقيقها في (سلاسل
الفكر) ، لتفرض عليها نهجاً
في العمل جديداً متميزاً ،

فيه من الإبداع
ما ينأى به عن الترجمات
الحرفية لكتب الأطفال
الأجنبية ، التي غمرت
مكتباتنا ، مع أنها لم تكتب في
الأصل لأطفالنا ، وهي تحكي
لهم أفكاراً ومعتقدات مغايرة لما

يألفونه في بيئتهم ومعتقداتهم .
وفيه من التزام الأمانة
العلمية ، والغاية التربوية ،
والتنوع في المعلومات ،
والمستوى الفني الرفيع ،
ما يحتاج إلى تضافر الكثير من
الجهود ، لإنتاج كتب
لا تستحوذ على اهتمام أطفالنا
فحسب ، وإنما تحقق فيهم
الأهداف التي وضعت من
أجلها .

وستصدر سلاسل الفكر
تباعاً إن شاء الله . في حلة
قشيبية ، مزودة بالرسوم
والألوان ، شاملة لثنى حقول
المعرفة .